

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(42) شيئاً⁽¹⁾. هذا المناخ المتلاطم عالمي المصداق والمفهوم، إنساني الفهم والتصور. 4 - وهناك من أمثال القرآن ما تقف عنده متأملاً مترصداً، ولنتائج خاشعاً متحققاً، يأخذ بيدك إلى حياة أوسع، وتصور أشمل، وتدقيق أروع، تلمس من خلال ذلك كله رسالة القرآن العالمية، أنت الآن إزاء مثلين متراصين في سورة واحدة، يتحدث الأول منهما عن حياة الصحراء والسراب الخادع فيها، وما يترشح في ضوء ذلك من معنى إيحائي يتمثله العربي في باديته، ويتمرسه البدوي في حياته. قال تعالى: (وَاللَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَنِيئًا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّاهُ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ *) النور / 39. فالمثل القرآني تصوير بالتمثيل التشبيهي لأعمال الكافرين مشبهة بذلك السراب المنتشر في الصحراء، يتخيله الظامئ ماءً، ويكتشفه لدى التحقيق التماعاً خلاباً، وهو بأمس الحاجة إلى الماء، ولا ماء، فهو لا يجده ولكنه يجد □ عنده فيوفيه الحساب بسرعة مذهلة، ولك أن تتصور هذا السراب في صحراء نجد وبادية الحجاز وطرق الشام. هذا الفهم العربي الخالص لهذا المناخ يتقاطع بمناخ آخر يتحدث عنه البحار الهادرة في محيط كالمحيط الأطلسي أو الهادي، وتتجلى صورته في بلاد كبلاد الضباب الدائم والظلمات المتراكبة والسحاب الجائم، مما لا عهد به للعرب، ولا علاقة له بأثباح جزيرة العرب. قال تعالى: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدِ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ *) النور / 40. هذه ظلمات في بحر لحي لا قعر له ولا ساحل، عميق غزير المادة تحوطه الأمواج المتدافعة، ويعلوه السحاب الثقيل، وتملؤه الظلمات المرعبة، ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة الغمام، حتى ليخطئ الانسان فيه تشخيص يديه، فلا يرى ذلك أصلاً⁽²⁾. _____

(1) المؤلف، الصورة الفنية في المثل القرآني: 293. (2) ط: المؤلف، الصورة الفنية: 282 + مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية: 356.